ونظراً لما يحتاجه هذا العمل من جهد، وخبرة، واتقان، فانه، للاسف، لم يلق العناية اللازمة مما تسبب في اضاعة الكثير من الملفات الوثائقية الهامة عبر العشرين عاما من التجربة الفلسطينية المعاصرة.

ملامح التجربة الفلسطينية في التوثيق:

كان لمركز الابحاث الفلسطيني دور السبق في المجال التوثيقي الفلسطيني، حيث تأسست فيه ثلاثة اقسام خاصة منذ سنة ١٩٦٤: قسم خاص بالمكتبة والوثائق التاريخية الفلسطينية، وقسم خاص باليوميات الفلسطينية، وقسم خاص بالارشيف. واعتمد قسم الارشيف على توثيق كافة المعلومات المتعلقة بالقضية الفلسطينية، وفق اربع مجموعات رئيسية: المجموعة الفلسطينية، والمجموعة العربية والمجموعة الدولية والمجموعة الاسرائيلية. وكانت روافد المعلومات تأتي عبر عشرات الصحف العربية والصحف الاجنبية بثلاث لغات هي العبرية والانكليزية والفرنسية.

وقد شكلت مادة الارشيف الارضية الاساسية لتوثيق القضية الفلسطينية منذ سنة ١٩٦٤. وبالاستناد إلى معلومات ارشيف مركز الابحاث، قام المركز بنشر زهاء ٢٤ مجلداً شاملاً بعنوان «اليوميات الفلسطينية»، وهي عبارة عن مسح شامل لكافة نشاطات منظمة التحرير الفلسطينية وكل ما يتعلق بالقضية الفلسطينية عموماً وعلى الصعد كافة. وقد تم تصوير الارشيف سنوياً بـ «الميكرو فيلم»، وقد تطور عمل الارشيف منذ سنة ١٩٨١، واصبح يصدر ملفا شهرياً مفهرساً لمواده، وفق ٧٢ رأساً للموضوعات، تسهيلاً لعمل الباحثين في سرعة استخراج المعلومات من ملفات الصحف.

اما فيما يتعلق بقسم الوثائق، فقد تم جمع الوثائق الاساسية المتعلقة بالقضية الفلسطينية من الارشيف الوطني البريطاني وملفات الهيئة العربية العليا واوراق شخصيات وقيادات فلسطينية وملفات بعض صحف فلسطين زمن الانتداب. كما جمعت وثائق شفاهية ـ مباشرة ـ مسجلة، من بعض الشخصيات الوطنية الفلسطينية (Oral History). وحصل القسم على بعض وثائق حكومة عموم فلسطين، وكذلك على بعض الوثائق العثمانية. كما حصل على مصغرات بريطانية متعلقة بالقضية الفلسطينية، معظمها يتعلق باراضي فلسطين، ونظام الملكية، ومعظم الوثائق المحفوظة وثائق اصلية. وهذا كله شكل اسهاماً واضحاً في ظهور دراسات تاريخية متخصصة ودقيقة في القضية الفلسطينية.

ونظرا لخصوصيات القضية ومؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية في الصراع العربي ـ الاسرائيلي، ونظراً لاهمية دور مركز الابحاث في بلورة الشخصية الوطنية وابراز دورها الحضاري، فقد تعرض هذا المركز الى خمسة اعتداءات عنف متفرقة ابرزها نهب كافة محتوياته من قبل جيش الدفاع الاسرائيلي، اثناء اجتياحه لبيروت الغربية في ايلول (سبتمبر) ١٩٨٢، تم تفجير مقره بسيارة ملغومة في ٥ شباط (فبراير) ١٩٨٣.

لذا، فانه يمكننا اعتبار تجربة مركز الابحاث التوثيقية، عبر ما انجزه من جمع وتصنيف ونشر، أبرز التجارب الفلسطينية في هذا المجال، اضافة لتجربة جامعة بيرزيت داخل الوطن المحتل.

وفي هذا السياق، لابد من الاشارة الى مسألة هامة برزت عبر التجربة الفلسطينية في التوثيق وهي التعددية. فقد أنشأت كل صحيفة لنفسها ارشيفا خاصا وفاق عددها على العشرين صحيفة، مما ادى الى تكرار العمل ذاته واستدعى القيام بمحاولة تأسيس مركز واحد للتوثيق الفلسطيني. الا ان هذه المحاولة كانت دون المستوى المطلوب من حيث الخبرة والمعطيات مما اعطى تكرارا زائدا.

ومهما يكن من امر، فان للتجربة التوثيقية الفلسطينية، خلال العشرين سنة الاخيرة، العديد من المدلولات، ابرزها ضرورة الاعتماد على التقنيات الحديثة في التوثيق، نظرا لتعرض المؤسسات الفلسطينية للتهجير المتكرر. ان عدم الاستقرار يفرض، بدوره، ضرورة حفظ الوثيقة، وتوفير القدرة على الرجوع اليها مع توفير سهولة حفظها، ونقلها عبر المصغرات (المايكرو فيلم أو المايكرو فيش)، وتخزين المعلومات بواسطة العقل الالكتروني، مما يسهل عملية نقل المعلومات واسترجاعها، وفق نظام خاص يتلاءم وأوضاع المؤسسات الفلسطينية.

التفاعل العربي والدولي للتوثيق الفلسطيني

تعود فكرة انشاء مجلس عالمي للتوثيق إلى نهاية الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٨، وكان الهدف منها الاسهام